تفريغ شرح الأصول الثلاثة

للشّيخ محمّد بن عبد الوهاب –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

ضمن دروس سلسلة التأصيل العلمي

لفضيلة الشيخ

حـامد بن خميس بن ربيع الجنيـبي

(تفريغ الدرس الرابع)

(قام الشيخ بمراجعة التفريغ مع حذف بعض العبارات المكررة وتعديل ما يصعب استيعابه إلا بالسماع)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد،

فهذا هو تفريغ الدرس الرابع لشرح متن ثلاثة الأصول، والذي قام بتفريغه بعض طلبة العلم الأفاضل –وفقهم الله لما يحبه ويرضاه –.

وهذا الدرس هو ضمن دروس (**سلسلة التأصيل العلمي**)، والتي يتم نقلها عبر **شبكة وإذاعة إمام دار الهجرة العلمية**، والتي سوف نأمل من الله تعالى أن يُيسِّر لـــمَن يُتابِعُها التَّدرُّج للوصول إلى مراحل متقدِّمة من مراحل العلوم الشرعية.

ومما ينبغي التنبيه عليه؛ أنَّه كما لا يخفى أنَّ الدروس المسموعة لا تكون في قوة التحقيق وذكر المسائل، كما يكون ذلك في التأليف والتصنيف، فإن الكلام كما يُقال: (وليد ساعته)، وقد حاولتُ أن أُراعي في هذا الشرح سهولة العبارة قدر المستطاع، وترك الخوض في المسائل التي لا تنفع طالب العلم في هذه المرحلة؛ وذلك لكي يتدرَّج الطالب شيئاً فشيئاً.

وقد قمتُ بمُراجعة هذا التفريغ مراجعةً سريعةً؛ لإصلاح الخطأ –وهو يسيرٌ جداً – وحذف ما تكرَّر من العبارات، وتعديل ما قد يُشكِل في القراءة دون السماع، وضبط بعض ألفاظه.

وختاماً؛ أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا التفريغ، كما أرجو أن ينفع بأصله المسموع، وأن يُجزِل الأجر والمثوبة لَمن قام بتفريغه، ونشره، وأن يجعل ذلك في موازين حسناته، وأن يرفع به درجته عنده.

كما أسأله – سبحانه وتعالى – أن ينفع به؛ مَن قرأه، أو نشره، أو أهداه إلى غيره، وأن يجعله حُجَّةً لي يوم ألقاه، وأن يغفر لي ما زلَّ به اللسان.

وإنَّني أرغب إلى إخواني، ومشايخي، ومَن يقف على هذا التفريغ، إنْ وَجَدَ به خللاً أن يُصلِحه، وأن يلتمِس لي فيه العُذر، وأن يكتب لي به لأُصلِحه، والله المستعان.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتـــــــــــــــــــبه الفقير إلى عفو ربه

حامد بن خميس بن ربيع الجنيبي
غفر الله له ، ولوالديه، ولمشايخه ، وأهل بيته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، فنسأل الله –تبارك وتعالى– أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، وأن يخلص أعمالنا لوجهه الكريم، وأن يجعل ما نقوله حجة لنا، وأن لا يجعله حجة علينا إنّه جَوَادٌ كريمٌ.

قول المصنف: "**فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا**"، من هنا يبدأ هذا الأصل أو المقدمة الرابعة التي هي أصل هذه الرسالة.

والمصنف –عليه رحمة الله تعالى– ابتدأ الرسالة بسؤال وجهه –رحمه الله– للقارئ وهذا السؤال في قوله: "**فَإِنْ قِيْلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا**"، ففائدة ذكر الأسئلة في التعليم هي لفت انتباه المستمع إلى ما سيُلقى عليه من المسائل، وهي تهيئة للذهن للاستماع إلى ما سيُلقى من الفوائد.

وهذا مأخوذ من منهج النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يسأل أصحابه إذا أراد أن يعلّمهم، وبوَّب البخاري على حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – بابٌ إذا ألقى الإمام المسألة ليختبر ما عندهم أو نحو هذه العبارة.

وحديث ابن عمر –رضي الله عنهما– الذي فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **إنَّ مِنَ الْشّجَرِ شَجَرَةٌ لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ فَحَدِّثُونِي مَا هِي ؟**" يسأل أصحابه –رضي الله عنهم– يقول فحدثوني ما هي؟ فيقول ابن عمر: " **فَوَقَعَ الْنَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنّهَا الْنّخْلَة فَاسْتَحْيَيْتُ** –يعني استحيى –رضي الله عنه– أن يجيب لصغر سنه، ولأن في هذا المجلس كبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم– قال: ثم قالوا –أي الصحابة– قالوا: **حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ الْلّه قَال: هِيَ الْنّخْلَة** " والحديث في الصحيحين وغيرهما.

فهذا منهج نبوي في طرح السؤال لكي ينتبه المستمع إلى ما سيُلقى إليه من الفوائد والفرائد، وهي من الأسباب في جعل ما يُلقى على السامع يثبت في ذهنه إن شاء الله.

و"الأصول": جمع أصل. وهي في اللغة: ما يُبنى عليه غيره.

وهنا ذكر المصنف ثلاثة أصول، هذه الأصول الثلاثة كما ذكرنا سابقاً جامعةٌ لدين الإسلام، كما نبَّهنا على ذلك في الدرس الأول.

والأصول الثلاثة قد اختلف أهل العلم في تسميتها:

- فمنهم من سماها: الأصول الثلاثة.
- ومن أهل العلم من يُسمي هذه الرسالة: ثلاثة الأصول وأدلتها.

فهنا تسميتان، ولعلَّ الأشهر في تسمية هذه الرسالة هو: (ثلاثة الأصول وأدلتها)، وهو الذي عليه جمع من المشايخ –عليهم رحمة الله تعالى– ومن طلاب الشيخ وأحفاده –عليهم رحمة الله تعالى– ومشايخ الدعوة الذين سموا هذه الرسالة بهذه التسمية.

وفي الحقيقة لم ترد تسمية صريحة من المؤلف لهذه الرسالة، ونحن قد ذكرنا أن الشيخ عبد الرحمان بن قاسم –عليه رحمة الله تعالى– ذكر أربعة رسائل في الدرر السنية كلها تدور حول ما حوته رسالة الأصول الثلاثة بتفاوت في ذكر المسائل، ففي بعضها شيء من التفصيل لا يوجد في بعضها الآخر، وفي بعضها ذكر مسائل لا توجد في الرسائل الأخرى، كتفصيل في الربوبية أو نحو ذلك من المسائل التي في هذه الرسائل.

لكن هذه الرسالة هي أطول الرسائل الأربع، وهي التي اشتهرت عند أهل العلم، وهي التي شرحها أهل العلم، وبعضهم اختصرها، وبعضهم وضع عليها حواشي، وهذه هي التي اشتهرت عند أهل العلم.

وهنا تنبيه آخر؛ وهو أنَّ بعض العلماء ذكر أنَّ هذه الرسالة تبدأ من قول المصنف –عليه رحمة الله تعالى–: "اعلم أرشدك الله لطاعته".

وأنَّ المقدمتين اللتين في بداية الرسالة الأولى: "اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل"، ثم المقدمة الثانية:" اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلُّم هذه المسائل الثلاث"، فهاتان المقدمتان ذكر بعض أهل العلم أنهما ليستا من أصل رسالة ثلاثة الأصول وأدلتها، وأنه قد أضافها بعض طلاب الشيخ –عليه رحمة الله تعالى ورحمهم الله– إلى هذه الرسالة فظهرت بهذه الصورة، واشتُهرت بهذه الصورة، هكذا ذُكر، وهكذا اشتُهر والله أعلم.

قال –رحمه الله تعالى–:

[المتن]

فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ الَّتِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا فَقُلْ: مَعْرِفَةُ العَبْدِ رَبَّهُ وَدِيْنَهُ وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

[الشرح]

وهنا قد اختلف الترتيب عن الترتيب في بداية الرسالة، ففي بداية الرسالة قال: "الأولى معرفة العبد ربه ونبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة"، وهنا ذكر: "معرفة العبد ربه ودينه ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم"، ولعلَّ اختلاف الترتيب –والله أعلم– راجعٌ إلى اختلاف النسخ في ذلك، أو إلى أنَّ هذه المقدمات ليست من مضمون الرسالة، فالله أعلم.

ثم ابتدأ –رحمه الله تعالى– في ذكر الأصل الأول فقال –رحمه الله–:

[المتن]

"فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّى جَمِيْعَ العَالَمِيْنَ بِنِعَمِهِ وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِيْ مَعْبُودٌ سِوَاهُ وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1] وَكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ العَالَم".

[الشّرح]

ابتدأ –رحمه الله– هنا في ذكر الأصول الثلاثة، وابتدأ في ذكر الأصل الأول من هذه الأصول الثلاثة فقال: **"فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟"**

الرب في اللغة هو: المالك المتصرف، وهو سبحانه مالك الوجود، وله الملكوت –سبحانه تعالى–، فله كمال التصريف، وله كمال التدبير في هذا الوجود، ولعل المصنف –رحمه

[1] [الفاتحة:٢]

الله تعالى- يريد هنا بالرب: "المربي"، فإننا استفدنا أنه يريد هذه اللفظة من قوله " **فَإِذَا قِيْلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَقُلْ: رَبِيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّى جَمِيعَ العَالَمِينَ بِنِعَمِهِ**".

فالنعم هي: سائر ما يحصل للإنسان ويُعطاه من الخير في هذه الدنيا.

والنعمة قد تكون في السراء، وقد تكون في الضراء، ولا يدرك هذا المعنى إلا من نوَّر الله قلبه، فإنَّ البلاء قد يكون نعمة على العبد، وذلك بتكثير الحسنات، ورِفعة الدرجات، وصرف ما هو أشد وأشر عليه.

فقال:" **فَقُلْ: رَبِيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي وَرَبَّى جَمِيْعَ العَالَمِينَ بِنِعَمِهِ**"، فهو سبحانه ربَّانا وربَّى جميع العالمين بهذه النعم –سبحانه وتعالى-، فأورثت هذه التربية من العبد ما يحصل منه من الالتجاء إلى الله –سبحانه وتعالى- والاضطرار إليه، وكذا ما يحصل منه في معايشه، في معاملته مع الخلق، وفي معاملته مع نفسه، وما يحصل له من سائر النعم في حياته فهو سبحانه مربٍّ للعالمين.

قال:" **وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِيْ مَعْبُودٌ**"، والرب قد يُطلق في الشرع ويُراد به: "المالك المتصرف" كما ذكرنا، وكذلك يطلق الرب وقد يراد به: "الإله".

وكذلك العكس؛ (الإله) يطلق في الشرع ويراد به: "المتفرد بالألوهية الحَقَّة"، ويطلق أيضاً ويراد به: "الرب"، فكلمة إله وكلمة رب تجتمعان تفترقان، فقد يطلق الإله ويراد به الإله والرب، وقد يطلق الرب ويراد به الرب والإله، وكذلك (الإيمان والإسلام) كما سيأتي معنا أيضاً إن شاء الله، وسوف يأتي التنبيه على ذلك إن شاء الله في موضعه.

قال: "**وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِيْ مَعْبُودٌ سِوَاهُ**"، أي أن هذا الربَّ الذي رباني هو معبودي، ونحن قد ذكرنا أن من طريقة القرآن هي أن الله –سبحانه وتعالى- يخاطب

المشركين بتوحيد الربوبية المتقرر عندهم لأجل أن يوحِّدوا الله –سبحانه وتعالى– في أُلوهِيَّتِه، فإنهم قد أشركوا بالله في ألوهيته.

قال: "**وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِيْ مَعْبُودٌ سِوَاهُ**"، وأهل السنة قد تفرَّدوا عن كثير من طوائف المتكلمين وأرباب الكلام والبدع بتفسيرهم للألوهية، طبعاً وافقهم على ذلك طائفة من أهل الكلام، لكنَّ كثيراً من المتكلمين ومنهم المعتزلة والأشاعرة ونحوهم يُفَسِّرون التوحيد لا إله إلا الله بقولهم: "لا قادر على الاختراع إلا الله"، أو: "لا رازق إلا الله"، وهذه التفسيرات كلها تفسيرات غير صحيحة، والتفسير الحق الذي يجب أن يُقال به هو: "لا معبود بحق إلا الله"، هذا الذي يجب أن يُقال به وإلا فإن كثيراً من تفاسير أهل البدع وأهل الكلام جاءت مخالفة لكتاب الله ولسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: لا قادر على الاختراع أو لا رازق إلا الله، وهنالك من يغلو من أهل التصوف فيقولون لا موجود إلا الله عياذاً بالله –سبحانه وتعالى– ويعنون بذلك عقيدتهم الفاسدة –أنا أقصد غلاة الصوفية– يقصدون بذلك عقيدتهم الفاسدة: عقيدة وحدة الوجود عياذاً بالله –عز وجل–.

قال –رحمه الله–: "**وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِيْ مَعْبُودٌ سِوَاهُ**" وذكر الدليل على ذلك فقال: "**وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**، فهذا دليل على أن الله –سبحانه وتعالى– ربٌّ للعالمين أجمعين، فهو ربهم، وهو مربيهم –سبحانه وتعالى–، وبيَّن ذلك –رحمه الله– بقوله: "**وَكُلُّ مَا سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ العَالَم**".

فلو سُئلت ما هو العالَم؟ أو ما معنى العالمين؟ سيكون جوابك جواباً عاماً فتقول: هو كلُّ مَنْ سوى الله.

[المتن]

"فَإِذَا قِيلَ لَك بِمَا عَرَفْت رَبَّك فَقُل بِأيَاتِه وَمَخْلُوْقَاتِه وَمِن آيَاتِه الْلَّيْلُ وَالْنَّهَارُ وَالْشَّمْسُ وَالْقَمَرُ و مَن مَخْلُوْقَاتِه الْسَّمَاوَات الْسَّبْع وَالْأَرَضُون الْسَّبْع وَمَن فِيْهِن وَمَا بَيْنَهُمَا".

[الشرح]

قال –رحمه الله–: **"فَإِذَا قِيَل لَك بِمَا عَرَفْت رَبَّك"**، أنت الآن تقول: ربي الله الذي رباني وربى جميع العالمين بنعمه، السؤال: ما الذي أوصلك إلى معرفة ربك؟ فنقول يعني كأنك تسأل الآن عن الدليل، ما هو الدليل الذي دلك على معرفة الله –عز وجل–: **"فَإِذَا قِيَل لَك بِمَا عَرَفْت رَبَّك"**؟ نقول المصنف –رحمه الله– أجاب بقوله: **"فَقُل بِأيَاتِه"**.

الآيات تنقسم إلى قسمين: آيات شرعية، وآيات كونية:

- الآيات الشرعية هي: الوحي؛ القرآن والسنة وما تفرَّع عليهما.
- وأما الآيات الكونية فهي: الآيات التي يُراد بها المخلوقات.

مخلوقات الله –عز وجل– قد تكون كما قال الله –سبحانه وتعالى–:﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [٢] ففي نفس الإنسان هنالك آيات كونية، وفي ما يراه الإنسان هنالك آيات كونية، وفي ما يسمعه الإنسان هنالك آيات كونية، وفي خلق السماوات والأرض ونحو ذلك من الآيات التي دلَّت على وجود الله –عز وجل–.

فالآيات الشرعية والآيات الكونية دلَّت على معرفة الله –عز وجل–، فمن نظر في كتاب الله وجد فيه من الآيات الكثيرة الدالة على وجود الله –عز وجل–، وهذا متضافر في القرآن، بل إنَّ القرآن قد جاء لتقرير وجود الله مع وجوب عبادته –سبحانه وتعالى–، فالقرآن يخاطب

[2] [الذاريات: ٢١]

به كل من في هذا الوجود ممن هو مكلف من الإنس والجن، كلُّهم مخاطبون بهذا القرآن، فمِن هؤلاء من هو منكر لوجود الرب -عز وجل-، ومنهم من هو مؤمنٌ بوجود الربِّ -عزّ وجلّ- منكرٌ لعبادته -عزّ وجلّ-، كما قال سبحانه في فرعون: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[3]، وهنالك من يُؤمن بوجود الربّ -عزّ وجلّ-، ويُؤمن بوجوب عبادته، ويصرف شيئاً من العبادة لغير الله -عزّ وجلّ-، فهذا القرآن قد جاء لمخاطبة كافَّة النّاس، فجاء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مُنذِرًا للناس كافّةً، بشيرًا للناس كافّةً، كما قال سُبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[4]

فمن نظر في القرآن وجد من الآياتِ الكثيرة الدّالة على وجود الله -عزّ وجلّ-، وعلى معرفة الله -عزّ وجلّ-، وخصوصا الآيات التي فيها خطاب لِأهل الشرك حين يُقررهم -سبحانه وتعالى- بما معهم من توحيد الرّبوبية.

وأمّا بالنسبة للآيات الكونية فذكر المؤلف -رحمه الله تعالى- من المخلوقات، قال: "**وَمِن آيَاتِه اللّيْل وَالنّهَار وَالشّمْس وَالْقمَر ومَن مَخْلُوْقَاتِه الْسّمَاوَات الْسّبْع وَالْأَرَضُون الْسّبْع وَمَن فِيْهِن وَمَا بَيْنَهُمَا**".

والخَلقُ: هو الإيجاد من العدم، فكل ما سوى الله -عز وجلّ- فهو مخلوق، والله سبحانه خالقٌ قد اتصف بهذه الصفة منذ أبد الأبد -سبحانه وتعالى-، هذا معنى الخلق.

---

[3] [النمل: ١٤]

[4] [سبأ: ٢٨]

فقال: فقُل بآياته ومخلوقاته، ثمّ ذكر الآيات قال: **" وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ"**، فضرب مثالاً على الآيات، هذه آيات كونية أو آيات شرعية: الليل، النهار، الشمس، القمر؟ الإجابة: كونيَّة، هذه آيات كونية لأننا ذكرنا أن الآيات الشرعية هي الآيات التي جاءت في الوحي، في الكتاب والسنة، والكونية هي سائر المخلوقات، مخلوقات الله –عز وجل–.

قال:" **وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَمَا بَينَهُمَا** "، هذه من مخلوقات الله –عز وجل– ونحن قد ذكرنا معنى المخلوقات، والمصنِّف –رحمه الله تعالى– ذكر هنا: "ومن آياته"، فذَكَرَ الليل والنهار والشمس والقمر، وقال: "ومن مخلوقاته"، وذَكَرَ السموات السبع والأرضون السبع، مع أنَّ كلَّ هذه التي ذكرها الليل والنهار والشمس والقمر والسموات السبع والأرضون السبع ومن فيهنَّ وما بينهما كلُّها آيات كونية، لكنه مثَّل –عليه رحمة الله تعالى– بالآيات الكونية بالليل والنهار والشمس والقمر، ومثَّل للمخلوقات بالسموات السبع والأرضون السبع، ولعل هذا التمثيل والتفريق الذي ذكره الشيخ هو من باب توضيح المسألة لأنه قد تلتبس المسألة على بعض الناس، فلعله قد نَوَّعَ ذِكر ذلك والله أعلم.

والآيات التي ذكرها –عليه رحمة الله تعالى– الليل والنهار والشمس والقمر الناظر فيها يرى من الآيات ما الله –سبحانه وتعالى– بها عليم، فيها آيات وعبر، يعني آيات من جهة أن الإنسان إذا نظر إلى الليل والنهار، وإلى تَعاقُب الليل والنهار، وكيف جعل الله –سبحانه وتعالى– النهار معاشاً؟ وجعل الليل سُباتاً –سبحانه وتعالى–؟ وكيف أن هذا النهار يعيش فيه الناس، وينتشرون، ويقضون حاجاتهم؟ وفي الليل يأوون إلى بيوتهم وإلى منازلهم؟ وكيف جعل –سبحانه وتعالى– النهار لأجل السعي في الرزق؟ وجعل الليل لأجل السكن والراحة والدَّعَة؟ من نَظَر في هذا التعاقب يرى أيضاً من الآيات والعبر في مُضِيِّ اللَّيل والنهار ما يُذَكِّرُه بالآخرة،

يرى من العبر ما يذكره بفوات العمر، يرى من العبر ما يذكره بهذا التنظيم الذي يسري عليه هذا الكون، وكذلك عظمة الله –سبحانه وتعالى–، آيات كثيرة هذا فقط إذا نظرنا في الليل والنهار.

قال –عليه رحمة الله تعالى– ذكر الدليل على هذه المسائل قال:

[المتن]

"وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [5]، فالليل والنهار والشمس والقمر هي من آيات الله –سبحانه وتعالى– الكونية،قال: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾"[6]

[الشرح]

قال: ﴿**سِتَّةِ أَيَّامٍ**﴾ وخلق السموات والأرض في ستة أيام، فيه لفتة إلى تعاقب الليل والنهار، وأيضاً فيه من العبر والعضات والحِكم ما يتّعظ به الإنسان، فإنَّ الله –سبحانه وتعالى– قادرٌ على أن يخلق السماوات والأرض بقوله: (كُنْ) فيكون بهذا الأمر، ولَكانَت السماوات والأرض ولكنَّه خلقها –سبحانه وتعالى– في ستة أيام.

[المتن]

---

5 [فصلت:٣٧]

6 [الأعراف: ٥٤]

"﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً ﴾" الليل يطلب النهار طلباً حثيثا، "﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾" [٧]، كلُّ هذه من الآيات الكونية. قال: "وَالرَّبُّ هُوَ المَعْبُودُ، وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾.." الآيات.

[الشرح]

قال: "**الرب هو المعبود**"، نحن ذكرنا أن معنى الرب متعلق بالربوبية، والإله متعلق بتوحيد الألوهية.

لكن هنا قال الرب هو المعبود، وهذه لفتة جميلة من المصنف –عليه رحمة الله تعالى– نستفيد منها فوائد.

من هذه الفوائد:–

أنَّ الربَّ الذي يشترك في الإيمان بربوبيَّته المسلمون والمشركون هو الذي المستحق للعبادة –سبحانه وتعالى–، فليس كافياً أن نقول أنَّ الله –سبحانه وتعالى– إلهٌ يُعبَد، ولكن ذَكَرَ شيئاً من التفصيل وهو أنه سبحانه مُستَحِقٌّ للألوهية، فأنت قد تُقَرِّر المشرك بألوهية الله –سبحانه وتعالى– بما عنده من ربوبية الله –سبحانه وتعالى–.

فقد تأتي إلى المشرك وتخاطبه مخاطبةً مباشرةً بتوحيد الألوهيَّة ولا يتقبَّل ذلك، لكن لو خاطبته بما عنده من توحيد الربوبية وأنَّ الذي وَحَّدتَه في ربوبيَّتِه هو المستحق لأن تُوَحِّدَه في ألوهيَّتِه فهذا لعلَّه أَرغَبُ، وأَكمَلُ، وأَجدَرُ بالانقياد إن شاء الله إلى توحيد الله –عز وجل–.

[7] [الأعراف:٥٤]

قال:" **وَالرَّبُّ هُوَ المَعْبُودُ**"، ونحن قد ذكرنا أن معنى الرب يشترك إذا أُطلق بين المالك المدبِّر، وبين الإله المستحق للعبادة.

قال:" **وَالدَّلِيْلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾**، انظر هنا **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾** الله –سبحانه وتعالى– يخاطب الناس ويأمرهم بعبادة الله –سبحانه وتعالى– لكن أمرهم بعبادة من؟ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ و لم يقل اعبدوا إلاهكم، قال اعْبُدُوا رَبَّكُمُ يخاطبهم بتوحيد الربوبية، **﴿ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** [8]، فهو سبحانه الذي تفضل بهذه النعم؛ وجعل السماء بناءً، وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً للناس، فربوبيَّته –سبحانه وتعالى– تدلُّ على أنه مُستَحِقٌّ للأُلوهيَّة.

ونختم عند كلام ابن كثير قال:

[المتن]

" قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–: "الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءِ هُوَ الْمُسْتَحِقُ لِلْعِبَادَةِ."

[الشرح]

فلا يستحق العبادة إلا من خَلَقَ هذه الأشياء، وأوجد هذه الأشياء، ومن تفضَّلَ بهذه الأشياء، فمَنْ كان له الربوبية –سبحانه وتعالى– هو المستحق للأُلوهيَّة الحقَّة –سبحانه وتعالى– والله أعلى وأعلم.

---

[8] [البقرة:٢١–٢٢]